كتاب البرهان لابن سينا

وصله ببرهان أرسطو (١)

للدكتور أبو العلا عفيفي

كان من محاسن الصدف أنني انتهيت — قبل مجيئي إلى هذا المهرجان — من إعداد كتاب البرهان من منطق الشفاء للشيخ الرئيس أبي علي بن سينا توطئة للنشره في سلسلة مؤلفاته التي تشرف على إخراجها وزارة التربية والتعليم المصرية. ولم يكن المجهود الذي بذلته في قراءة هذا النص الهام وتفهم معانيه ومقارنته بكتاب البرهان لأرسطو إلا خطوة من خطى كثيرة يجب أن يخطوها الباحثون في طريق شاق طويل قبل أن يقولوا كلمتهم الأخيرة في منزلة ابن سينا الذي نحتفي بعيده الألفي اليوم من تاريخ الفلسفة الإسلامية بوجه خاص ومكانته من تاريخ الفكر الإنساني بوجه عام. فإن حكمنا على إنتاج ابن سينا وقيمته وصلته بالتراث الفلسفي السابق عليه، إن لم يكن مستندا إلى دراسة تحليلية عميقة لآثار الفيلسوف نفسه جاء قاصراً بل خاطئا ومضللا كتلك الأحكام التي أصدرها على ابن سينا نفسه وعلى الفلسفة الإسلامية برمتها مؤرخو القرن التاسع عشر الأوروبيون.

وأنا اليوم لا أدعي حكما عاما على الفلسفة الإسلامية برمتها ولا على ابن سينا في جملة إنتاجه ولا على منطقه كله بل على جزء محدود من ذلك المنطق هو كتابه في البرهان، وذلك بعد أن درسته وقارنته بالكتاب الرابع من منطق أرسطو المعروف بأنالوطيقا الأواخر أو التحليلات الثانية Analytica Posteriora (٢)

---

(١) بحث ألقي في مهرجان العيد الألفي لابن سينا الذي عقد بمدينة طهران في ٢١ — ٣٠ من شهر أبريل ١٩٥٤.

(٢) عرف عند العرب أيضا بكتاب البرهان وترجمت هذه الكلمة في القرون الوسطى اللاتينية بكلمة Demonstration وهي الصورة اللاتينية للكلمة اليونانية ἀπόδειξις (أبوديكسس) التي استعملها أرسطو عنوانا لهذا الكتاب. ويظهر أن كلمة Demonstration لم تنتشر في الاصطلاح المنطقي إلا بعد ظهور الترجمات اللاتينية لكتب المناطقة العرب: ولم يكن معناها قبل ذلك أكثر من مجرد الايضاح والبيان أو وضع الشيء أمام العقل كما لو كان مشار إليه.

والنتيجة التي وصلت إليها هي أن كتاب البرهان لابن سينا صورة عربية مكبرة لتحليلات أرسطو الثانية . أما كيف أخذت هذه الصورة عن الأصل ، ولماذا جاءت أكبر من الأصل ، وما هي درجة القرابة بينها وبين الأصل ، فهذه أمور أرجو أن أجليها أثناء هذا الحديث .

ولو كانت الصلة بين ابن سينا وأرسطو مباشرة لكان الخطب أيسر ، ولكننا لسوء الحظ مضطرون إلى النظر في وسطاء عديدين بين الفيلسوفين ، وهم وسطاء كان لهم من غير شك أثر بالغ في تشكيل التحليلات الثانية الأرسطية على النحو الذي عرض به ابن سينا مادتها في كتاب البرهان .

ولهذا نجد أن مشكلة الصلة بين الكتابين ذات شقين مختلفين يجب النظر في كل منهما على حدة وإن كان كل منهما يكمل الآخر . الشق الأول هو صلة ابن سينا بأرسطو في هذا الكتاب ، أو بعبارة أخرى ، العناصر الأرسطية المنطقية المستمدة من التحليلات الثانية . والشق الثاني هو الطرق التي بوساطتها وصلته المادة الأرسطية ، فإننا نعلم أن ابن سينا لم يكن يعرف اللغة اليونانية فيأخذ ما أخذه عن أرسطو مباشرة ، كما أنه مما لاشك فيه أنه لم يعرف التحليلات الثانية الأرسطية وحدها عند ما عرفها مترجمة إلى اللغة العربية ، وإنما عرفها بما عليها من شروح الشراح اليونان والسريان وتعليقات بعض مفكري المسلمين . ولذا كان لمعرفتنا بالأدوار التي مر بها كتاب أرسطو وما عمل له من ترجمات وما وضع عليه من شروح قبل وصوله إلى ابن سينا قيمة بالغة في فهم كتابه وإدراك العناصر المختلفة ، الأرسطية وغير الأرسطية ، التي نجدها فيه .

أما الشق الأول من مشكلتنا فقد عالجته بأن قمت بتحليل فصول كتاب البرهان إلى أهم عناصرها وحاولت — كلما استطعت — أن أقارنها بأصولها من التحليلات الثانية لأرسطو حيثما وجدت . فوضح لي وضوحا تاما أن ابن سينا أخذ مادة كتابه في هيكلها العام من هذا الكتاب الأرسطي ، وإلى حد ما من كتب أرسطو المنطقية الأخرى ، بل ومن كتبه غير المنطقية . إلا أن أخذه عنه يختلف درجة ونوعا : فهو أقوى في المقالتين الثالثة والرابعة وأضعف في المقالتين الأولى والثانية .

فهو يلخص فى مقاله الثالثة المقالة الأولى من التحليلات الثانية ، ويلخص فى مقاله الرابعة المقالة الثانية من الكتاب المذكور . أما فى مقاله الأولى والثانية فهو أكثر استقلالا عن أرسطو فى منهج التأليف وطريقة عرض المسائل وترتيبها وشرحها .

وأما الشق الثانى من المشكلة — أعنى الطرق التى بوساطتها عرف ابن سينا التحليلات الثانية — فيقتضينا أن ننظر فى المراحل التى مر بها كتاب أرسطو فى الترجمة والشروح والتعليقات قبل عصر ابن سينا ، لأن الصلة التى تربطه بمترجم أرسطو أيا كان ذلك المترجم ، وبشراح أرسطو ، لا تقل فى نظرنا عن أهمية تلك التى تربطه بأرسطو نفسه . إذ على هؤلاء عول وعنهم أخذ أخذاً مباشراً . بل ربما كان لهم أثر غير قليل فى فهم ابن سينا لمادة كتاب البرهان ودقته أو عدم دقته فى فهمها وعرضها وصياغتها . أما عن الترجمة ، فالذى نعرفه من المراجع التى بين أيدينا أن كتاب التحليلات الثانية لأرسطو قد نقل إلى اللغة العربية على مرحلتين : نقله إلى السريانية إسحق ابن حنين (المتوفى سنة ٢٩٨ هـ) ثم نقل أبوبشر متى بن يونس المترجم النسطورى (المتوفى سنة ٣٢٨) ترجمة إسحق إلى العربية[1]. وهذه هى الترجمة التى نشرها سنة ١٩٤٩ الدكتور عبد الرحمن بدوى عن مخطوطة باريس فى المجلد الثانى من منطق أرسطو . ولكن الأستاذ مينو بالويلو Mino Palluello يحدثنا عن ترجمة عربية أخرى لكتاب التحليلات الثانية عرفها ابن رشد واعتمد عليها فى شروحه على أرسطو ، كما انتفع بها معاصر لاتينى له هو جرار الكريمونى Jerard of Cremona (المتوفى سنة ١١٨٧)[2]. ولكن ليس لهذه الترجمة ذكر فى المراجع العربية التى بين أيدينا ، كما أن ابن رشد لم يذكر اسم واضعها .

---

(١) الفهرست ص ٣٤٨

(٢) راجع مقالة الأستاذ فالتسر Walzer فى مجلة Oriens المجلد السادس ١٩٥٣ ص ٩١ وما بعدها ، وربما انتفع بها أيضا الفارابى الذى حكى عن نفسه — كما يقول صاحب طبقات الأطباء (ج ٢ ص ١٣٥) — « أنه تعلم من يوحنا بن حيلان إلى آخر كتاب البرهان » فربما فهم من هذا أنه قرأ معه كتاب البرهان فى ترجمة عربية لا يحتمل أن تكون ترجمة أبى بشر .

وأما عن شروح التحليلات الثانية فيقول ابن النديم « شرح ثامسطيوس هذا الكتاب شرحا تاما وشرحه الأسكندر ولم يوجد ، وشرحه يحيى النحوى . ولأبى يحيى المروزى الذى قرأ عليه متى (بن يونس) كلام فيه . وشرحه أبو بشر متى والفارابى والكندى » .

فالظاهر من عبارة ابن النديم :

(أولا) أن العرب قد عرفوا شروح ثامسطيوس والأسكندر ويحيى النحوى . وهم وإن لم يكونوا قد عرفوا هذه الشروح كلها فى ترجمات عربية كاملة فقد عرفوا على الأقل أجزاء منها . وابن سينا واحد منهم .

(ثانيا) أن أبا يحيى المروزى أستاذ متى بن يونس كان أول شارح للتحليلات الثانية فى العالم الإسلامى . وأغلب الظن أنه كتب شرحه باللغة السريانية لأنها كانت اللغة التى ألف بها [1].

(ثالثا) أن أول شارح لهذا النص باللغة العربية كان أبا بشر متى بن يونس الذى كانت شروحه على كتب أرسطو المنطقية الأربعة — على حد قول القفطى — مما يعول عليه الناس فى قراءتهم .

(رابعا) أن الفارابى كتب شرحا على هذا الكتاب ، ولكن الذى نعرفه أن للفارابى تعليقات عليه وهى موجودة فى مجموعة تفاسيره على منطق أرسطو وتعاليق ابن باجه عليها فى مخطوطة بالأسكوريال [2] ولسوء الحظ لم تتح لى فرصة الاطلاع على هذه التعليقات بعد . وأغلب الظن أنها عظيمة القيمة فى بحثنا هذا .

أما شرح الكندى الذى يشير إليه ابن النديم فلا أعلم عنه شيئا ، ويبعد أن يكون الكندى قد كتب شرحا على التحليلات الثانية بالمعنى الصحيح لأن الكتاب لم يكن معروفا فى ترجمة ما سريانية أو عربية إلى عهد الكندى ، بل لم يكن يسمح

(١) يقول القفطى (ص ٢٦) ولأبى يحيى المروزى الذى قرأ عليه متى كلام فيه والظاهر أنه سريانى.

(٢) الأسكوريال رقم ٦١٢

بتدريسه فى الأوساط العلمية التى عاش فيها الكندى ، وإنما كان يقف المتعلمون عند آخر الأشكال الوجودية من التحليلات الأولى ، وذلك لأن الأوساط الدينية المسيحية كانت تخشى شيئا من زعزعة العقائد عند المتعلمين إذا هم درسوا الحق كما يقرره الدين والحق كما يقرره صاحب البرهان (التحليلات الثانية) .

كانت هذه حال كتاب التحليلات لأرسطو وشروحه فى العالم الإسلامى إلى زمن ابن سينا : فمن أى مصدر من هذه المصادر استمد مادته فى كتاب البرهان ؟ لقد اطلع من غير شك على ترجمة عربية لكتاب أرسطو لأنه يشير صراحة إلى مترجم ما من غير أن يذكر اسمه فيقول : « ثم إن المترجم يقول كذا وكذا ». فهل كان هذا المترجم أبا بشر متى بن يونس أم صاحب الترجمة الأخرى التى تحدثنا عنها ؟ ثم إن عبارة ابن سينا السابقة تدل على أن المترجم الذى يتحدث عنه كان يعرف اللغة اليونانية لأنه — فى الموضوع الذى يشير إليه فيه — يناقش مسألة لغوية يونانية . وأبو بشر — على ما نعلم — لم يكن يعرف اليونانية وقد نقل كل ما نقله من السريانية إلى العربية .

ولقد اطلع ابن سينا من غير شك أيضاً على شروح للتحليلات الثانية — لا على شرح واحد — كما يدل عليه قوله : « وقد أوردوا فى الشروح » وقوله : « فهذه الأقوال مما قيل فى التعليم الأول (أى منطق أرسطو) وفى الشروح »[1] وقوله : « فأما بعض المفسرين فيقول »[2] وغير ذلك من العبارات الكثيرة التى تفيد أنه كان على إلمام بشروح الكتاب الأرسطى إلى جانب إلمامه بنص مترجم .

بل لايخامرنى شك فى أنه عرف شرحى الإسكندر الأفروديسى ويوحنا النحوى على نص أرسطو — إن لم يكن فى ترجمة عربية كاملة لهذين الشرحين — فعلى الأقل فى بعض أجزائهما التى تسربت إلى البيئات المنطقية الإسلامية ابتداء

(١) كتاب البرهان مخطوط المتحف البريطانى و ١٠٧ ا .

(٢) نفس المرجع ١١٧ ب

من النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى عن طريق مدرسة العراق السريانية المسيحية . كما أنه ليس ببعيد أن يكون قد اطلع على تعليقات الفارابى على التحليلات الثانية وانتفع بها كما انتفع بواضعها فى فنون أخرى من فنون الفلسفة . أما معرفته بشرحى الأسكندر ويحيى النحوى فظاهرة من بعض تعليقاته على النصوص الأرسطية التى يقتبسها من الكتاب : مثال ذلك قوله فى الفصل الثالث من المقالة الثالثة من كتاب البرهان « فقد قيل فى التعليم الأول ما هذا لفظه : « وأيضا فى الأشياء التى يوضع الأوسط فيها خارجا إنما يكون البرهان على « لم هو » إذا كان أخبر بالعلة نفسها . فإن لم يخبر بها نفسها لم يكن برهان على لم بل على إن » . وفى تفسيره لهذه الفقرة يقول إنها تحتمل وجهين ، ويذكر وجهتى نظر الاسكندر الأفروديسى ويحيى النحوى فيها من غير أن يذكر اسميهما . والأمثلة على ذلك كثيرة ، وما على الباحث فى كتاب البرهان إلا أن يدقق النظر فى المواضع التى يفصل فيها ابن سينا الآراء ويناقشها ليتبين له مدى ما أخذه عن الشراح ومدى ما استقل به عنهم .

ولكن ابن سينا إن استمد بعض مادة كتابه فى البرهان من شراح أرسطو فقد استمد الجزء الأكبر والأهم منه من النص الأرسطى نفسه ، ذلك النص الذى حاذاه — على حد قوله — وأخذ منه كثيراً من مسائله بترتيبها وأمثلتها واصطلاحاتها .

وهنا يحق لنا أن نتساءل : أى نص عربى لكتاب التحليلات الثانية الأرسطية عرفه ابن سينا وبنى عليه دراسته فى البرهان ؟ لو لم نعلم بوجود ترجمة أخرى لهذا الكتاب غير ترجمة أبى بشر لجزمنا بأن ترجمة أبى بشر كانت المصدر الذى أخذ عنه . ولكن عندى من المبررات ما يحملنى على الاعتقاد بأنها لم تكن ذلك المصدر .

(أولا) أن مقارنة النصوص التى اقتبسها ابن سينا من أرسطو اقتباسا مباشراً ونص على أنها من أقوال المعلم الأول بلفظه ،بنظائرها فى ترجمة أبى بشر قد أثبتت أنه لا تطابق بينهما إلا فى حالة واحدة هى ترجمة فقرة وردت فى ٧٦ ب : ٢٥ — ٣٠

من كتاب أرسطو[1] . أما ما عداها من الاقتباسات فلا مطابقة ألبتة بينها وبين نظائرها فى ترجمة أبى بشر . فلو أن ابن سينا استعمل ترجمة أبى بشر لأورد النصوص التى اقتبسها من المعلم الأول بعبارة أبى بشر دون تغيير أو تصرف ولكنه لم يفعل .

(ثانيا) أن ترجمة أبى بشر للتحليلات الثانية ترجمة سقيمة عقيمة مستغلقة المعنى مستحيلة الفهم مجافية للذوق العربى ، لا يستطيع القارىء فهمها إلا إذا فهم النص الأصلى ، لأنه حرص على ترجمة ألفاظ الأصل ترجمة حرفية ، ووضع هذه الألفاظ بعضها إلى جانب بعض من غير أن تفيد معنى عاما فى معظم الأحوال . فمن غير المحتمل أن تكون هذه الترجمة المصدر الذى أخذ عنه ابن سينا مادته فى كتاب البرهان وهى مادة واضحة مفهومة فى جملتها . وليس هذا رأيى وحدى فى أبى بشر وأسلوبه فى الترجمة ، فقد عرف له القدماء وكاكته وعجمته واستغلاق معانيه فوصفوه بالوصف الذى هو جدير به . يقول فيه ابن النديم « وكتبه مطروحة مجفوة لأن عبارته كانت عفطية غلقة »[2] . وفى اعتقادى أن أبا بشر أسوأ مترجمى الأرجانون على الأطلاق إذا قورن بأسحق بن حنين الذى ترجم كتابى المقولات والعبارة أو بأبى عثمان الدمشقى الذى ترجم كتاب الجدل أو غيرهما من مترجمى المنطق الأرسطى .

وقد أشرت إلى أمر يصح أن نتخذه دليلا ثالثا على أن النص الأرسطى الذى استخدمه ابن سينا لم يكن ترجمة أبى بشر ، وهو أن مترجم النص الأرسطى الذى عرفه ابن سينا كان ملما باللغة اليونانية وأبو بشر لم يكن يعلم هذه اللغة .

لهذه الأسباب مجتمعة أستبعد احتمال أن يكون ابن سينا أخذ مادته من ترجمة أبى بشر — أو على الأقل منها وحدها — وأرجح أحد احتمالين آخرين .

---

(١) أنظر ترجمة أبى بشر — منطق أرسطو ج٢ ص ٣٤٠ ؛ وقارن برهان ابن سينا ٩٦ ب.

(٢) الفهرست ط مصر ص ٣٦٧ ؛ والعفطى بالكسر الألكن .

الأول : أن يكون قد عرف الترجمة الأخرى التي عرفها ابن رشد وجيرار الكريموني من بعده ، وانتفع بها إلى جانب انتفاعه بالشروح المختلفة التي كانت شائعة في عصره . وهذه الترجمة لسوء الحظ لانعرف عن واضعها شيئا .

الثاني : أنه لم يعرف هذه الترجمة الثانية بل عرف ترجمة أبي بشر ولكنه عرفها مع شرح أبي بشر نفسه عليها ومع الشروح الأخرى . أما قيمة شرح أبي بشر على النص الأرسطي وأسلوبه ودرجة وضوحه فهذه أمور لانستطيع الحكم عليها لعدم وصول هذا الشرح إلينا .

والآن نشير إلى منهج ابن سينا في الكتاب وإلى الدور الخاص الذي قام به فيه .

لم يلتزم ابن سينا منهجاً واحداً في معالجته لموضوعات كتاب البرهان كلها ولذا اختلفت فصول الكتاب اختلافا بينا في طريقة معالجة المسائل وعرضها . فبعض الفصول لايعدو أن يكون تلخيصاً للأفكار الأرسطية يسير فيها على نفس النمط الذي سار عليه أرسطو في كتابه ، ويعرضها فقرة فقرة شارحا لها تارة ومعلقا عليها تارة أخرى . وهذه هي الفصول التي ذكر أنه يحاذي فيها المعلم الأول ، وهي محاذاة واضحة كل الوضوح في جميع فصول المقالتين الثالثة والرابعة اللتين لخص فيهما أهم ما أورده أرسطو في الفصول ١٣ — ٣٤ من مقالته الأولى ، وجميع فصول المقالة الثانية : أقول لخص فيهما أهم ما أورده أرسطو لأنه لم ينقل عن أرسطو كل شيء بل اكتفى بالمسائل الرئيسية وترك التفاصيل كما ترك معظم الأمثلة الرمزية الصورية التي يلجأ إليها أرسطو في إيضاح قواعده . وكثيرا ما يتخلل تلخيص ابن سينا وشرحه وتعليقاته اعتراضات يثيرها في صورة ، فإن قيل كذا وكذا ، وأغلب الظن أنها اعتراضات أثارها الشراح ، ويجيب عنها إجابة منتصر لتعاليم أرسطو غير خارج على أقواله .

وفي الكتاب عدد غير قليل من الفصول التي جمع ابن سينا مادتها من أجزاء مختلفة من التحليلات الثانية لأرسطو ولم يلتزم فيها ترتيب فصول المعلم الأول ، أو جمعها من التحليلات الثانية ومن كتب أرسطو المنطقية الأخرى ثم شرحها وفصل القول فيها . وهذا النوع غالب على فصول المقالة الثانية .

وباقى الفصول هو من النوع الذى استقل فيه ابن سينا عن أرسطو استقلالا ملحوظا فوضعه وضعا أو استوحى فيه أقوال الشراح . وهذا غالب على الفصول الأولى من المقالة الأولى من الكتاب .

قد يتبادر إلى الذهن بعد كل الذى ذكرناه أن ابن سينا ليس مؤلفا بالمعنى الصحيح لكتاب البرهان لأنه لم يضع كتابا جديدا ولم يبتكر نظريات منطقية لم يسبق إليها ، ولم يتجه بنظرية البرهان الأرسطية وجهة جديدة ، بل لم ينقدها فى ناحية من نواحيها ، وأن الأجدر أن يوصف بأنه جامع لمسائل البرهان الأرسطى عارض وشارح ومبسط لها . ولكن هذا حكم فيه الكثير من القسوة ومجافاة العدل والانصاف فأننا لا نستطيع أن نصفه بأنه شارح لكتاب البرهان على نحو ما نصف ابن رشد أو أى شارح أرسطى آخر : لأنه لم يعن بتفسير النص الأرسطى بقدر ماعنى بتوضيح القواعد الأرسطية . كما أنه لم يكن جماعا لمادة أرسطو فى البرهان على نحو ما وضعت المجاميع والملخصات للكتب الأرسطية ، بل هو جماع يختار مايرتضيه من الآراء ويترك مالا يرتضيه ، ويوائم بين ما يختاره فى نسق منتظم ويناقش كل ذلك ويحلله ويفسره .

على أن ابن سينا لم يلتزم فى كتابه حدود كتاب البرهان الأرسطى ، بل تجاوزها فى استطراداته إلى ميادين أخرى من ميادين المنطق ، بل إلى ميادين علم النفس والطبيعة وغير ذلك مما تظهر فيه شخصية الفيلسوف وسعة علمه وعمق تحليله وتفكيره . ومن أمثلة ذلك أنه بعد أن شرح القاعدة الأرسطية القائلة إنك إذا فقدت حاسة فقد فقدت علما ، يستطرد فيتكلم فى أنواع العلم المكتسب منها بالحس والمكتسب بغيره ، ويدلل على إمكان الوصول إلى المعانى العقلية وغير ذلك مما بسطه فيما بعد فى كتاب الاشارات[1] .

وإذا لم يؤلف ابن سينا كتابا جديدا فى البرهان بل كان مجهوده فيه مجهود جامع ملخص عارض شارح معقب معلق على برهان أرسطو ، فأين فضله إذن

(١) أنظر الأشارات فى النمط الرابع فى الوجود وعلله .

وما هى قيمة كتابه ؟ الحق أن فضله إنما هو فى هذه كلها مجتمعة . وليس بقادح فى قيمة الكتاب أن مادته هى مادة البرهان الأرسطى فى جوهرها .

لم تكن المهمة التى اضطلع بها ابن سينا مهمة يسيرة أو هينة . فقد كان عليه أن يعرض لأول مرة فى تاريخ المنطق فى العالم الإسلامى صورة من صور البرهان الأرسطى فى لغة إن لم تكن واضحة الوضوح كله فهى على الأقل لغة مفهومة فى جملتها خالية من العجمة والركاكة اللتين امتازت بهما ترجمة متى بن يونس .

وليست موضوعات البرهان الأرسطى من الموضوعات التى يسهل فهمها واستيعاب معانيها ومراميها حتى على المتمرسين بصناعة المنطق والفلسفة ، بل تحتاج إلى تأمل عميق وفهم دقيق وإحاطة شاملة بالتراث الأرسطى المنطقى والفلسفى . كما أن لغة أرسطو فى البرهان ليست باللغة المستقيمة الواضحة ، بل هو أعقد وأعوص كتبه المنطقية وأكثرها تركيزا على الأطلاق .

فإذا استطاع ابن سينا أن يخرج للعالم العربى فى مثل ظروفه القاسية المظلمة ، ومن غير استعانة بأستاذ ما ، كتابا فى نظرية البرهان يمكن فهمه واستساغته ، بل كتابا كان يعتمد عليه كل باحث عربى فى العالم الإسلامى من بعده ، كان ذلك فضلا عظيما له ولكتابه ونصرا مبينا لعبقريته .

على أن هناك حقيقة يجب ألا نتجاهلها فى حكمنا على ابن سينا وعلى منطقه بوجه خاص : وهى أنه يمثل فى تاريخ نقل التراث الفلسفى إلى العالم الإسلامى مرحلة وسطى بين مرحلتين ، الأولى مرحلة الترجمة التى كان هم أصحابها نقل الكتب اليونانية إلى العربية من غير محاولة لتجديد فيما نقلوه أو إضافة شىء عليه أو نقد له . والثانية مرحلة التأليف الحر غير المقيد بالأصول اليونانية على الرغم من تأثره بهذه الأصول . فابن سينا يقف وسطا بين هذين الطرفين لا هو حر على الأطلاق ولا مقيد على الأطلاق بل يتردد بين الحرية والتقيد . وهذه ظاهرة نلمسها فى أسلوبه فى كتاب البرهان كما نلمسها فى مادته . بل إن الغموض الذى نصادفه فى بعض أجزاء الكتاب إنما مرده فى اعتقادى إلى شدة حرصه على متابعة الأصول التى ينقل عنها ولو أنه تحرر من قيودها لسلس له قياد الأسلوب والفكر معا .

ومهما يكن من شيء . فإننا يجب ألا نحكم على إنتاج ابن سينا بموازين الدراسات الأرسطية في القرن العشرين بعد أن فرقت القرون العشرة الماضية بيننا وبينه وباعدت بين أسلوبنا وأسلوبه وتفكيرنا وتفكيره . ولن نستطيع أن نرجع بعجلة الزمان هذه القرون العشرة فنجعل من كل دارس لأرسطو تلميذا كابن سينا . ومع هذا سيحفظ له التاريخ منزلة مرموقة في سجل الأفراد الذين تدين لهم الإنسانية بالشيء الكثير في تطورها الفكري .